فبازاء العارف المستقيم الصوفي المخلط الملبس وبازاء العالم العامل العالم الفاجر
المداهن وبازاء السلطان العادل السلطان الجائر الذي لا يسير بالحق ولا يحسن الرعاية
والسياسة وبازاء الغني الصالح الغني الطالح الذي يجمع المال من غير حله ويمسكه عن حقه
وينفقه في غير وجهه وهؤلاء الاربعة الاخرون الذين هم السبب في فساد العالم و
اضطرابه وتشوش احوال الناس وخروجهم عن مناكلة الصواب والامر كله لله وبكل
ملكوت كل شيء فسبحان الواحد القهار الملك الوهاب مسبب الاسباب بما يشاء كيف
يشاء لا اله الا هو اليه المصير **فصل** اعلم ان الله تعالى وله الحمد خلق الدنيا
وجعلها بلاغا للمؤمن ينتزود منها لاخرته ويعمل فيها بطاعة ربه ومتاعا
للفاجر ينال فيها لذته ويقضي منها شهوته في غفلة عن ربه ونسيان
لاخرته ثم ان الله تعالى ملأ الدنيا باصناف ما يحتاج اليه الخلق وانواع ما
يستمتعون به وخلق فيها من ذلك مقدار ما يحتاجون اليه وزاد اعلم ما
يحتاجون اليه اضعافا مضاعفة ثم اذن للعباد ان ياخذوا من الدنيا بمقدار
الحاجة ليستعينوا به على سلوك سبيل الاخرة وحذرهم من الزيادة على قدر
حاجتهم وزهدهم فيه ورغبهم عنه فانقسم الناس في ذلك على اقسام فمنهم
من اقتصر منها على اخذ ما دون الحاجة حزما واحتياطا ومنهم داخل في ايديهم
شيء زايد على ذلك من غير قصد ولا تسبب اخرجوه في الحال الى مستحقيه وطا
يبه ومن هذا القسم انبياء الله ورسله عليهم افضل الصلاة والسلام وكل
ورثتهم من الصديقين والعلماء الراسخين وعباد الله الصالحين ومن هذا القسم
ايضا الزهاد القارون من الدنيا جملة واحدة والمذكورون قبلهم اكثر منهم
وافضل لانهم لم يفروا من الدنيا ولم يرغبوا فيها بل اخرجوا ما يدخل في ايديهم
منها على وفق ما يحب الله تعالى وبامره فهذا حكم القسم الاول وهم الاكملون
فضل والقسم الثاني اخذوا من الدنيا مقدار الحاجة بحسن نظر من غير تاويل
ولا ترخص والقسم الثالث اخذوا من الدنيا فوق ما يحتاجون اليه ثم القسم
هذا القسم الى اقسام كثيرة فمنهم قوم اخذوا منها فوق حاجتهم ليتصدقوا
به وينفقوه في وجوه الخيرات على تراخ في الاوقات فمنهم من تمت له نيته واستقام
عمله في ذلك ومنهم من وقع في التخليط والخطر ومنهم من اخذ زايدا على
مقدار الحاجة ليتنعم به على وجه مباح في الشرع وهو مع ذلك يفتر فلا هل
الفضل من الزاهدين بفضلهم ويعلم انه في حالته تلك نازل عن رفيع درجاتهم

وشريف مقاماتهم وهذا ضعيف والرجاء مرجوة له ومن هؤلاء اعني الا
خذين فوق مقدار الحاجة للتنعم والتلذذ وقصد الرفاهية اقوام تبسطوا
في ذلك وتوسعوا فيه مع الغفلة والتخليط واغتروا بالله تعالى وربما فضل
بعضهم حاله ذلك على احوال الزاهدين جهلا بالله وجراءة عليه ومنهم من
يدعي انه في توسعه وتنعمه مقتصر على قدر الحاجة بل على قدر الضرورة
ومنهم من يزعم انه يأخذ الدنيا ويمسكها ويجمعها للتصدق والمواساة وللا
نفاق في وجوه الخيرات وهو في غاية البعد عن ذلك يشهد عليه فعله وعمله
على خلاف ما يزعمه ويدعيه ويشهد عليه ربه بذلك وملائكته الحافظون
وعباد الله المؤمنون الناظرون الى سيرته وسوء عمله وقبيح اختياره لنفسه
ودعواه مع ذلك واغتراره بربه نسئل الله تعالى العافية من الغرور والزور
وجميع البليات والمخزيات ونسئله ان يسبل علينا ستره الجميل وعلى المسلمين
فصل واما من طلب الدنيا ليصيب منها مقدار حاجته او فوق مقدار
حاجته فلم يتيسر له ذلك لانه لم يقسم له من الدنيا الا دون مقدار حاجته
فذلك هو الفقير وهو غير معدود في الزاهدين ولكنه ان اخذ في طلبه للدنيا با
لورع والتقوى ثم صبر ورضي بما قسم له منها فهو الفقير الصابر وفقره
هو الفقر المحمود وقد وردت في فضله آيات واخبار كثيرة من ذلك قوله عليه
الصلاة والسلام الفقر الصبر جلساء الله تعالى يوم القيمة فاما اذا اضاع
التقوى والورع في طلبه للدنيا وفرط فيما يجب عليه من حق الله تعالى ثم
لم يصبر ولم يرض بما قسم الله له بل جزع وتبرم وتسخط وصار يغبط اهل
الدنيا على تمتعهم بها وتلذذهم فيها فهذا هو الفقر المذموم ولعل فقر هذا هو
المعنى بقوله عليه الصلاة والسلام كاد الفقر ان يكون كفرا ولعل هذا هو الفقر
الذي كان صلى الله عليه وسلم يستعيذ بالله منه وعلى هذا الفقر ينزل ما
جاء في الفقر من الذم وهو موجود اعني ذم الفقر في كلام بعض العلماء وهو قليل
ونادر وعلى هذا الفقر المذموم ينزل لا محالة والله ورسوله اعلم **فصل** الدنيا
لا راحة فيها للمؤمن عاقل البتة وان وجدت فيها راحة له فلا بد ان تكون مصحوبة
بغفلة منه عن ربه وعن معاده واما الاحمق فقد يستريح في الدنيا وسبب وجود
الراحة فيها له كونه احمق لا يهتدي الا بواطن الافات وما يجب زاحات الدنيا

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)